الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

العفة رأس المكارم

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، هو الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، والصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه ومن به مهتدى.

كلمة جميلة، وعبارة رقيقة، ولفظة رقراقة لطيفة، كنسيم الفجر، وشعاع الشمس، وضوء القمر وأريج الزهر وشذا الورد، تسكن إليها الفطر وتعانقها النفوس الطاهرة، والقلوب النقية، ولا تملها الأسماع الزكية، كلمة جميلة، وعبارة وسيمة، تتلألأ وتشرق نضارة وتشع جمالا بل وتملأ الدنيا ألقا، كلمة قوية وعبارة داوية مجلجلة، تملأ الأرجاء، وتهز الأصداء وتشق الفضاء، لا تحسبوا أيها السادة أني بهذا الأسلوب الأدبي أتوارى خلف لغتنا الجميلة، حتى لا أفصح عن موضوعي الذي سوف أتحدث عنه سوف أتحدث عن العفة، وللمرة الثانية، ولن أمل الحديث عنها، حتى تملأ العفة بلادنا، وحتى تكون كالهواء الذي نستنشقه، حتى تتوارى الرذائل وحتى تموت الفواحش وحتى تنزوي الفضائح وحتى نحيا بأخلاقنا وقيمنا وديننا.

وحتى أكون محددا في حديثي عن العفة فسوف أتحدث عن العفة من منطلقات خمس ومن محددات خمس، المحدد الأول لا تصادم الفطرة، التساهل في هذه الأمور يفضي إلى الكوارث ويفضي إلى المهالك ويفضي إلى تضييع كل القيم، لا تصادم الفطرة أنك تجد الرجل سويا في الأموال لكنه أمام النساء ضعيف، وأي نوع من أنواع التلاعب في هذا الباب إنما هو من باب التلاعب بالنار، ولا تقربوا النار.

إنك لتجد الرجل حازما في كل شيء، ولكن في نفسه شهوة تعتلج وفي دواخله غرائب تفور وتمور ولا بد أن يضعف أمامها، أي رجل مهما كان لا تقل أنا صاحب دين أنا تقي أنا أخاف الله لا تصادم فطرة ولا تنكروا الحقائق، إن من أنكر الحقائق تلاعب بقيمة عظيمة لا تحتمل تسمى العفة، لا تنكر الحقائق.

أولم يقل ربنا جل وعلا في عليائه ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ أول شيء قبل كل شيء من النساء بعد ذلك البنين الترتيب منطقي وموضوعي ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث﴾ زين للناس حب الشهوات من النساء، الحقيقة الأولى لا تصادم الفطرة، الفطرة هي الفطرة، الرجل يميل إلى المرأة فطرة، ألا لا يحتاج إلى تدريس؟ المرأة تميل إلى الرجل فطرة، هذا لا يحتاج إلى تعليم، هذه مسألة موجودة في الكائنات في الحيوانات، في البهائم في البشر في الكائنات الحية، المنطلق الأول المنطلق الثاني في حديثي عن العفة.

وضع الشرع في العلاقة بين الرجل والمرأة أبوابا منيعة، وأسلاكا شائكة وحواجز من تجاوزها أهلك نفسه، لم يقل ربنا جل وعلا لا تزنوا، قال ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ كل شيء يقربك إلى الزنا، يفضي إلى الزنا، لا تخالف الشرع منع الشرع المرأة أن تخرج متبرجة ومتعطرة ومتطيبة وإنهن يفعلن ذلك في أماكن العمل وفي الجامعات وإنك لتجد طالبة الجامعية لا تفرق بين صالة عرض الأزياء وبين قاعة الدرس والمحاضرة والمعمل فالزي هو الزي واللبس هو اللبس لا يتغير شيئا، منع الشارع المرأة من أن تخضع للقول فيطمع في قلبه مرض، منع تسافر المرأة بغير ذي محرم، كل ذلك من باب التدابير، فلا تخالف التدابير الشرعية، ولا الإجراءات الإسلامية التي من خالفها وقع هو وأوقع المجتمع في هلاك.

انتهت العفة يوم أن تعلمت المرأة الجرأة، أحيانا أقول لنفسي أنت مبالغ جدا، الأمر ليس كما تتصور، حتى الأرقام المهولة، وحتى الإشكالات الموجودة وحتى الوقائع المرئية بالعين في كل لحظة، وحتى الفضائيات المسمومة وكل ما نراه أقول لنفسي أنت مبالغ، لماذا؟ لأني أحس أن الناس لا ينفعلون، لكن يعني أحس أنا بعمل خطب وأكثر من خطبة في موضوع زي ده وأرفع صوتي وكده لحد ما أقول أعتذر للناس أقول لإخوانا أنا ربما أكون حساس شوية زيادة الموضوع لكن الشرع هو الشرع والحواجز هي الحواجز لا يمكن أن تتكسر في يوم من الأيام وستظل شرعا محكما إلى يوم الدين.

وهذا ما أخشاه، أن يأتي على الناس زمان تعتبر العفة فيه تخلفا، ودي النقطة الثالثة، احذروا أعداء العفة، العفة عنده أعداء، ما تخالفوا الشرع! ولا تصادموا الفطرة، الرجل رجل والمرأة مرأة، ويتبادلوا نظرات يتبادلوا الإعجاب الكلام الاستحسان إلى أن تقع الكوارث، لا تخالف الشرع بكل التدابير الوقائية التي وضعها، ثلاثة احذروا أعداء العفة، أعداء العفة قال الله عنهم في التنزيل ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾.

هي الأعداء العفة الذين يريدون نشر الفواحش في المجتمعات، الذين يريدون جمع الأموال على حساب القيم، في ناس ممكن يعمل فضائية يجيب فيها بنات عريانات وأولاد عريانين ويلخبطن فقط يريد كسبا ماديا ويريد ربحا طائلا لا يهمه كم من الأخلاق تدمرت؟ وكم من القيم انتهت؟ وكم من الفضائل ذبحت؟ وكم من العفة توارت كل ذلك لا يهمه؟ إنهم أعداء العفة في كل زمان ومكان، تلفت في بلادنا هل تجد للعفة أعداء؟

اللي بيفتحوا محلات الشيشة للشباب، محلات الشيشة مليانة الآن، للشباب هل تظنون أنهم من المصلحين؟ إنهم أعداء العفة، الذين يعتبرون العفة تخلفا، امرأة تعمل في مكان عام مع زملائها، لا بأس أن تكون هنالك ضوابط الاحترام بين الزمالة في حدود الأدب والأخلاق، لكن لا تصادموا الفطرة، أنا ما أتخيل ناس مع بعض ويتألمسوا والحواجز بيناتهم تتكسر ويقول لا في نهاية الشغل أوصلك معاي هي ما عندها عربية هو زميلها ويوصلها وراكبين بلاهم ويكونوا كده زي أختي، ما تخالف الفطرة، فبالتالي أصلا للعفة أعداء، للأسف الشديد.

إذا خالف البشر شرع الله المحكم وكتاب الله المنزل شوف المجتمعات البشرية إذا خالفت شرع ربها نزلت في الحضيض وانحطت في القاع، بني آدم بغير وحي يحكمه وبغير قيم تنير طريقه فايأس من خير فيه، احذروا أعداء العفة، نعم للعفة أعداء.

والله أنا بستغرب يجيك راجل يقول لك تحرير المرأة، يقول لك المرأة والحجاب وقفلتوا النسوان والمجتمع يتنفس برئة واحدة، المرأة مرأة والرجل رجل والضوابط ضوابط والحدود حدود والشرع شرع، موضوع بسيط جدا، في يدك السلطة، بيدكم أنكم تضبطوا الشارع وتضبطوا الأمور وتحاربوا الفساد وتضربوا بيد من حديد والمنافقين اللي بيروجوا لمثل هذه الأمور تمنعهم هذا كله ممكن، لكن كل ذلك يتم تحت ظلال حرية التعبير حرية الصحافة حرية الفكر إلى غير ذلك.

يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا، لا يستطيع أن يقاوم هذه الفطرة التي هي في نفسه، أسأل الله جل وعلا أن يحفظنا وأن يحفظ مجتمعاتنا وأن تعم الفضيلة والعفة أرجاء بلادنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، المنطلق الرابع من منطلقات العفة، العفة تبدأ من النظر، انتهى الكلام، العفة تبدأ النظر من أعانه الله على غض بصره رجلا كان أو امرأة أعين على العفة إلى حد كبير، هذا كلام مختصر جدا، العفة تبدأ من النظر، غضوا أبصاركم، أليس هذا بأمر ربكم؟ ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ ﴿يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن﴾.

هذه العفة، العفة تبدأ من النظر، أن تعان على غض البصر، فإذا غضضت بصرك كف كثير من الشر والهواجس والشرور والخواطر الرديئة وإلى غير ذلك من نفسك واستقر قلبك واطمأن فؤادك وسكنت نفسك وزكت وطهرت وطهر وزكى قلبك، ببساطة، خامسا الإيمان والد، والعفة مولود، الإيمان والد، والعفة مولود، العفة مولود شرعي للإيمان بالله ومخافته، ولذلك شعاري الذي أردده ولن أمله لا عفة بغير إيمان وتربية، أيها السادة العفة لا تباع في البقالات ولا تشترى من الأجزخانات، العفة غير موجودة في سوق ليبيا، ولا بتلقاها مفروشة في الواطة، العفة تبدأ من البيت تربية.

العفة مصدرها مخافة الله، وإجلاله ومراقبته في السر والعلن، لن تجد مراقبا لله في السر والعلن، إلا وهو عفيف، الذي لا يخاف الله لن يكون عفيفا، إنما العفة تأتي عند المحكات العملية، عندما يصمد الرجل أو تصمد المرأة، والأمير العادل يساعد الناس على العفة، يساعدهم على العفة، العالم الإسلامي يعاني موجة من الشهوات موجة من الشهوات عاصفة من الشهوات.

نحن نتحدث عن السودان ربما لأنه يلينا، لأنها شوارعنا، وطرقاتنا التي نراها ونمشي فيها، هذا الذي ربما نراه، لكن ما يقال ويدار في العالم شيء فظيع، وخاصة في المجتمعات الإسلامية غير المستقرة التي تعاني من الحروب، العفة فعلا تتعرض لحرب، عشان الناس ما يقولوا والله كرهنا بالعفة لذاته، كويس؟ الكلام كتير هو، لكن عموما أريد أن يستشعر الناس الخطر، وأن يحافظ كل إنسان على نفسه.

الأمر عظيم وهو يحتاج إلى مجاهدة وجسارة وقوة وإيمان ويقين وتقوى ومخافة من الله، ولكن أجل العفة ما كان عن تربية.

العفة تحرك الجبل، تحرك الصخرة واحد توسل ببر والديه والثاني توسل برد الأمانات وهذا توسل بالعفة، لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث للصحابة ليربيهم وليعلمهم العفة وهم كذلك أهلها وأربابها وأساتذتها هم الذين علموا الدنيا العفة علمهم هذا من أجل أن يغرس في نفوسهم العفة، العفيف يجد متعة، متعة لا يجدها الذين يواقعون الشهوات، ويرتعون في الأعراض أعوذ بالله، أعوذ بالله، أعوذ بالله، العفة مصدرها الإيمان.

والله في نسوان عفيفة، ومعظمهن كذلك، وفي رجال عفيفين، ومعظمهن كذلك، في ناس فعلا عفيفين.

أسأل الله جل وعلا أن يرد الجميع إليه ردا جميلا، اللهم عافنا في أوطاننا وأمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيها بالمعروف، وتعلى فيها الفضائل والقيم والعفة والسنة، يا رب العالمين، اللهم احفظ شبابنا وشباب المسلمين، وأعراضنا وأعراض المسلمين، وفتياتنا وفتيات المسلمين، اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين سوءا، اللهم فاجعل تدبيره تدميرا، يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين ويا أجود الأجودين احفظنا وصن يا رب العالمين اللهم احفظنا اللهم احفظنا اللهم احفظنا اللهم احفظنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض يا كريم يا حنان يا منان يا ذا الطول والإنعام.

اللهم ارفع الوباء والغلاء عنا يا رب العالمين، اللهم ارفع الوباء والغلاء عنا يا رب العالمين، اللهم ارفع عنا كل سوء يا رب العالمين، اللهم ابسط الخير والرخاء والسعادة والأمن في بلادنا وفي ديارنا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/العفة-رأس-المكارم/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com